

الشكوى من فساد حكومة نيجيريا في شعر داؤد أَدِيكِيْلِيْكُنْ: عرض ودراسة نقدية

صالح محمد جمعة ألاشو
جامعة ولاية كوارا، مليتي، نيجيريا
smjalaso@gmail.com
08034991544, 08053567125

ملخص

تتناول هذه المقالة الأزمات المختلفة التي تعاني منها نيجيريا منذ نشأتها، وتدرس بصفة خاصة ظاهرة الفساد الحكومي أو السياسي الذي سبب للمجتمع النيجيري التدهور الاقتصادي، واضطراب الأوضاع الاجتماعية، ونقص حاد في مرافق الحياة الأساسية، وانهيار شبه تام للبنى التحتية، مما دفع المواطنين إلى شكاوى مريرة واحتجاجات مستمرة على الحكومة وتصرفاتها. وكان ممن قام بالشكوى من أبناء اليوربا الدكتور داؤد التجاني أَدِيكِيْلِيْكُنْ الذي نظم قصيدة تشكو الحكومة التي كان يرأسها الجنرال ثاني أَبَشَا (1994-1998) وتغير سلوكها الإداري السيء، وتبين أن فساد هذه الحكومة قد ساق المواطنين إلى بؤس الحياة وضناكة العيش، وعدم الأمن والأمان، وأضرهم بأضرار لا قبل لهم بها. قامت المقالة بعرض بعض أبيات القصيدة

وشرحها شرحا وافرا، مع نقد شكلها ومضمونها نقدا تحليليا أدبيا. وقد نهج الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تحليل الأبيات المختارة، كما استفاد من المنهج التحليلي النفسي في تفسير العوامل النفسية التي دعت الشاعر إلى هذا النوع من النتاج الشعري. وقد توصل البحث إلى أن هذه الأشعار تعبير صادق لعاطفة الشاعر ووجدانه، وتصوير حقيقي لما كان واقعا حقيقيا في مجتمع الشاعر، وأن شعره يتصف بالصدق بجميع أنواعه الفني، والواقعي، والأخلاقي، والشعوري وغيره، وأن القصيدة دليل واضح على أن الشعر العربي النيجيري يتجاوب مع ظروف الحياة المختلفة.

مقدمة

واجهت نيجيريا قبل الاستقلال وبعده أزمات مختلفة، وتحديات كبيرة؛ سياسية، واقتصادية، وقبلية، واجتماعية، وثقافية، ودينية وغيرها. ومن هذه الأزمات البارزة في تاريخ البلاد مظاهرات كَنُّو 1953م التي راح ضحيتها نفوس الأبرياء وممتلكات، وأزمة إحصاء عام 1962/63 التي كادت تمزق وحدة البلاد، والحرب الأهلية التي أتت على الأخضر واليابس فيما بين 1967-1970م،¹ وأزمات الانقلابات العسكرية المتكررة وغيرها. ولعل أقوى مشكله تواجه الدولة وتعرقل تقدمها

والمواطنون عاجزون عن القضاء عليها هي ظاهرة الفساد.

وكلمة "الفساد" كما في المعجم اللغوي تعني "خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا ويزاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال فسد فسادا وفسودا ، وأفسده غيره".² وللکلمة في الاصطلاح معاني مختلفة تتفق في كون الفساد سوء استعمال السلطة العامة أو الوظيفة العامة للكسب الخاص.³ والتعاريف التي قدمتها المؤسسات الدولية لمصطلح الفساد -وخاصة الهيئات المالية والسياسية مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي (IMF) -تفيد أنه "استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص (الشخصي) غير المشروع (ليس له أي أساس قانوني)".⁴

"منظمة الشفافية الدولية" تعرف الفساد بأنه: "كل عمل يتضمن سوء استخدام المنصب العام لتحقيق مصلحة خاصة ذاتية لنفسه أو لجماعته".⁵

وللفساد أنواع منه الفساد الاجتماعي، والأخلاقي، والديني، والاقتصادي، والإداري، وعلى رأسه الفساد الحكومي (السياسي) الذي يصدر من حكام البلاد الذين وكل إليهم سياسة البلاد وإدارة مواردها إدارة تجلب للمواطنين الخير وتغرس في

نفوسهم الأمل والرجاء. ويعتبر هذا النوع الأخير
أشد خطراً، وأسوأ تأثيراً، وأعم انعكاساً؛ حيث لا
يترك نقياً ولا بياضاً في المجتمع إلا لطحه بيده
الملوثة. وجراء هذا السرطان القتال شهد المجتمع
النيجيري عبر السنين أحوالاً اقتصادية سيئة،
واضطراباً اجتماعياً شديداً ونقصاً حاداً في مرافق
الحياة الأساسية، وانهياراً شبه تام للبنى التحتية؛ فلا
أمن ولا أمان، ولا ماء صالح للشرب، ولا طاقة
كهربائية مستقرة ولا طرق مريح للسير، ولا أنظمة
تعليمية فعالة، ولا مراكز صحية تطمئن إليها
القلوب، إلى غير ذلك مما يشكو منها أبناء نيجيريا
من الأزمات والظروف العصيبة التي جلبها عليهم
فساد الحكام والرؤساء.

والجدير بالذكر أن الشعب النيجيري كانوا أشد
شكوى تحت حكومة الرئيسين العسكريين؛ إبراهيم
بابنغدا وثاني أبشاشا⁶، وكان الشعب اليوربوي (شعب
يسكنون في الجنوب الغربي للبلاد) بصفة خاصة
أكثر شكوى تحت حكومة الجنرال ثاني أبشاشا
(1993-1998).

ولما كانت حياة المواطنين مليئة بهذه
التجارب السيئة، والشعراء من أكثر الناس تأثراً
وتضرراً بها لرقه أحاسيسهم وقوة عواطفهم، فلا
غرو أن نرى شعرهم يتفجر بانتقادات مريرة من
أعماق قلوبهم، وأن نراهم صامدين أمام الحكومة
يمطرون عليها وابلاً من الشتائم والهجوم الكلامي.

وممن خاضوا هذا الغمار من أبناء يوربا الدكتور
داؤد أدِيكِيْلِيْكُنْ الذي جادت قريحته بقصيدة تشكو
من حكومة الجنرال ثاني أَبْشَا وتعير سلوكها
الإداري السيء. وجاء اختيار الباحث لهذه القصيدة
لما لاحظ فيها من عاطفة صادقة ووجدان معبر
عما في ضمير الشاعر، فهي مرآة صادقة تعكس
المعاناة التي يواجهها الشعب النيجيري من
الظروف الاقتصادية والسياسية والإدارية الصعبة.
والقصيدة برمتها اثنان وتسعون (92) بيتا، مطلعها:
ما هذه الحكومة الصماء ** حكومة تحكم
بالأهواء

وخاتمتها:

وإن قيل من فداود التجاني ** يشكو إلى من
يسمع النداء

نقل القصيدة بتمامها الدكتور عبد البارئ أدِيْكِيْجِي
في مقالة له⁷، ثم اختار الباحث الحالي منها أربعة
وأربعين بيتا. وتتكون المقالة من خمسة مباحث
هي مقدمة، وتعريف موجز بالشاعر، وعرض
وتحليل للآيات المختارة، والملحوظات الفنية،
والخاتمة.

تعريف موجز بالشاعر:

ولد الدكتور داؤد بن أحمد التجاني بن عبد
القادر بن ذي القرنين بن نوح أَدِيكِيْلِيْكُنْ في بيت
إِيْمَالِيْ بمدينة أَيْدِيْ في ولاية أَوْشُنْ - نيجيريا، سنة
1942م، وكان من أحفاد الإمام الأول لمدينة أيدي
الشيخ نوح المتوفى 1902م. بدأ تعلم قراءة القرآن
الكريم والمبادئ العربية الإسلامية عند عمه جمعة،
الذي وضع قدميه على الطريقة التيجانية في سن
مبكرة، وقد اكتسب جلّ معلوماته بواسطة جهده
الذاتي. التحق بمدرسة تاج الدين الابتدائية بأيدي
عام 1954م، ثم عمل مدرسا فيها بين
1960م-1978م، ثم التحق بجامعة إِبَادَنْ حيث
حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية
والدراسات الإسلامية بتقدير ممتاز، عام 1980م،
وحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه
بالجامعة نفسها عام 1984م و1990م. كان إمام
الجامعة منذ أيام تحصيله فيها حتى وفاته سنة
2006م. كان الدكتور داؤد شاعراً مفلحاً، وكاتباً
أكاديمياً ماهراً، يجيد اللغتين العربية والإنجليزية
علاوة على لغته الأم اليوروبية، له ديوان مخطوط
جمع فيه أغراضاً شعرية كثيرة، تناول فيها قضايا
دينية، واجتماعية، واقتصادية، وتعليمية، ووطنية،
وسياسية وغيرها.

عرض وتحليل للأبيات المختارة: تناول الشاعر
في هذه القصيدة أفكاراً متعدّدة، يدور جميعها حول
ما يراه سلبياً في سياسة حكومة الجنرال ثاني

أَبْتَشَأْ، وَتَتَنَاوَلْ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ بَعْضُ هَذِهِ الْأَفْكَارِ فِي
الْقِطْعَةِ الْمُخْتَارَةِ عَلَى النُّحُوِّ التَّالِي:

وصف سلوك الحكومة (1-34)

مَا هَذِهِ الْحُكُومَةُ الصَّمَاءُ حُكُومَةُ تَحْكُمُ
بِالْأَهْوَاءِ
يَا عَجَبًا لِهَذِهِ الْحُكُومَةِ حُكُومَةُ
يَكْرَهُهَا الْجَمْعَاءُ
يَا قَوْمُ مَا لِهَذِهِ الْحُكُومَةِ تَقُودُنَا
فَكَأَنَّهُا عُُمَيَاءُ
حُكُومَةُ لَيْسَتْ تُمَيِّزُ بَيْنَ
الْبَيْضَاءِ وَالسُّودَاءِ
5- حُكُومَةُ تَحْكُمُ فِي الْبِلَادِ كَمَا تَشَاءُ
لَا كَمَا تَشَاءُ
حُكُومَةُ تَجُودُ لَا بِالْمَالِ لَا بِالْهَدَايَا
بَلْ وَلَا بِالْمَاءِ
لَا مَرَحَبًا بِهَذِهِ الْحُكُومَةِ حُكُومَةُ
تَجُودُ بِالْبَاسَاءِ
حُكُومَةُ تَعِدُنَا صِلَاحًا وَتَسُوسُنَا
سِيَّاسَةً شَعْوَاءَ
تَسُوقُنَا فَكَأَنَّا بَهَائِمُ أَوْ أَنَّ فِي
أَعْيُنِنَا غَطَاءُ
10- تَطْلُبُ مِنْهَا سَمَكًا وَخُبْرًا وَوَهْبِنَا
حَيَّةَ رَقْطَاءَ
قَدْ لَسَعْنَا لَسْعَةً شَدِيدَةً
الْعَقَارِبِ السُّودَاءِ

تَذْهَبُ لَا إِلَى الْيَمِينِ لَا إِلَى الشَّمَالِ لَا
الْأَمَامَ لَا الْوَرَاءَ
كَأَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ مَشْيًا فَكَأَنَّهَا فِي
مَشْيِهَا عَزَجَاءُ
كَأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا بَعِيرُ فِي الْحَقْلِ
بَلْ لَا نَاقَةَ عَمِيَاءَ
15- حُكُومُهُ تَعْدُنَا وَتَنْكُثُ وَتَعُدُّ
ثَانِيَةً يَلَا وَقَصَاءَ
وَتَعِدُ ثَالِثَةً وَرَابِعَةً وَخَا
مِثْلَ سِتَّةٍ وَسَادِسَةٍ يَلَا حَيَاءَ
حُكُومُهُ لَا تَعْرِفُ الْعَدَالََةَ حُكُومُهُ
لَا تَعْرِفُ الصَّفَاءَ
حُكُومُهُ فِي الْأَرْضِ كَانَتْ تُفْسِدُ وَلَمْ
تَخَفْ عَاقِبَةَ الْأَشْيَاءِ
حُكُومُهُ تُعَامِلُ الْأَحْرَارَ
فَكَأَنَّهَا تُعَامِلُ الْإِمَاءَ
20- حُكُومُهُ تُبْذِرُ النَّفِيسَ تَبْذِيرَ
صَاحِبِ مُعَلَّةٍ عَمِيَاءَ
حُكُومُهُ تُبْذِرُ النَّفِيسَ تَبْذِيرَ مَنْ
لَيْسَ لَهُ اهْتِدَاءُ
تَمْحُو عَنْ الْقُلُوبِ حُبَّ الْخَيْرِ وَتُغْرِسُ
الشُّحَّ مَعَ الْبَغْضَاءِ
تَرْشُو وَتُرْشَى كَأَنَّ هَذَا
مَوَافِقُ لَشَرِيعَةٍ
السَّمَاءَ

تَقُولُ شَيْئًا ثُمَّ تَفْعَلُ غَيْرَهُ
فَكَأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ الْحَيَاءَ
وَتُنْكُثُ الْعُهُودَ كُلَّ يَوْمٍ
وَلَمْ تَكُنْ تُؤْمِنُ بِالْجَزَاءِ
تَمْشِي بِنَا مِنْ تَعَبٍ لآخر
وَتَجُرُّنَا دَوْمًا إِلَى

الْوَرَاءِ
قَدْ سَكَتَ مَنْ كَانَ فِيْنَا يَنْطِقُ
بِالصِّدْقِ وَالْعَدْلِ وَلَا الرِّيَاءِ
حُكُومُهُ تَغْنِيفُ الرِّجَالِ
حُكُومُهُ تَلْعَبُ بِالنِّسَاءِ
تُفَرِّقُ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ
وَتَفْقِشُ الْآبَاءَ

بِالْأَبْنَاءِ
حُكُومُهُ يُغْطِلُ الْعَمَالَ
وَتَتَغَبَّبُ الْفُقَرَاءَ وَالْأَغْنِيَاءَ
حُكُومُهُ تَنْهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ تَأْمُرُ
بِالْمُنْكَرِ وَالْفَحْشَاءِ
حُكُومُهُ تَغْفُو عَنِ الْحَقِيقَةِ كَأَنَّ مُقِلَّةَ
عَيْنِهَا رَمَدَاءَ
حُكُومُهُ لَا تُكْرِمُ الْمُلُوكَ وَلَا
الْأَسَاطِيدَ وَالْأَطِبَّاءَ
حُكُومُهُ تَلْعَبُ بِالْأَدْيَانِ
وَتَتَغَنَّى بِزَنَامِجٍ
اسْتِهْزَاءِ

بدأ الشاعر القصيدة بالهجوم الشديد اللهجة
على سياسة الحكومة العسكرية التي كانت تدير
البلاد وقتئذ، متعجبا من نوعية سياسة الحكومة
التي لا تسمع ولا تحكم إلا بالهوى؛ فهي تقودهم
قيادة الأعمى الذي لا يميز بين الألوان، وتحكم
البلاد وفقا لهواها لا لإرادة الشعب، ولهذا يكرهها
الشعب. ثم أخذ يعدد أسباب كراهية الشعب لتلك
الحكومة ومنها: عدم الوفاء بالعهود، وممارسة
سياسة "فرق تسد"، وإدارة البلاد كأن أهلها بهائم،
وتخيب آمال الشعب؛ لأنهم كلما يرجون منها خيرا
تمنحهم شرًا، إذ هم يتضررون كمن لسعه العقرب،
وأنها توقفت تماما عن الحركة في إدارة البلاد،
وكانها العرجاء التي لا تقدر على المشي، ولا
تعتني بأمور الغير، والشاعر يشير إلى الوعود التي
قطعتها الحكومة على نفسها بنقل السلطة إلى
المدنيين بدون وفاء. وأضاف أن هذه الحكومة لا
تحكم بالعدل والنزاهة، وأنها شديدة البطش؛ تعامل
الأحرار معاملة العبيد، وتبذر في الإنفاق تبذيرا،
وتغرس الشح والبغض في قلوب أهل البلاد لعدم
إعطائهم حقهم. كما أنها تجيز أخذ الرشوة
وإعطاءها، مما يخالف الشرائع الإسلامية، وأنها
تقول ما لا تفعل، وتخالف الوعد لأنها لا تؤمن بجزاء
يوم القيامة.

واستمر الشاعر قائلا: إن هذه الحكومة تجر
البلاد من مشكله إلى أخرى وتدفعهم إلى الوراء

دائماً، وأنها قد ألجمت أفواه الناطقين بالصدق
والحق، وقست على الرجال وتلاعبت بالنساء،
وافتننت الأبناء والآباء. وكما تعطل العمال كذلك
تتعب الفقراء والأغنياء على حد سواء، وتعارض أمر
الله تعالى بتنفيذ الناس عن المعروف وتشجيعهم
على المنكر. ثم قال إن هذه الحكومة لا ترى
الأشياء على حقيقتها، كأنها مصابة في عينيها بداء
الرمد، ولا تحترم الملوك والأساتذة والأطباء، ولا
تعطي للأديان حرمتها ولا لليتامى حقوقهم، بل إنها
تسفك الدماء.

2- الشكوى من مرافق الحياة المعطلة (35-44)

حُكُومَةُ لَا تَرْحَمُ الْيَتَامَى لَيْلًا نَهَارًا تَسْفِكُ
الدِّمَاءَ³⁵⁻
فَأَرْضُهُ الْخَصِيْبَةُ الْمَعْسُولَةُ قَدْ
صَيَّرَتْهَا جَذْبَةً جَرْدَاءَ
إِذْ أَفْقَلْتُ مَدَارِسَ الْأَطْفَالِ وَصَيَّرْتُ
أَسْوَاقَنَا صَحْرَاءَ
وَمَوَّتَتْ مَرْكَزَ التَّجَارِي
وَعَلَقْتُ مَوَارِدَ الشَّعْرَاءِ
وَقَتَّلْتُ كَذَلِكَ الْمَصَانِعَ
صَيَّرَتْهَا كُلَّهَا فُقَرَاءَ
أَمَّا الْبُتُوكُ فَهِيَ فِي أَرْذِيَادٍ بَلْ سَرَابٌ⁴⁰⁻
لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ

مُسْتَشْفِيَاتٌ قُطِرْنَا نَرَاهَا يَلَا
 طَبِيبٌ وَيَلَا دَوَاءٌ
 وَمَعَاهِدُ الْعِلْمِ كَجَامِعَاتٍ دَارَتْ
 جَمِيعَهَا إِلَى الْقَوَاءِ
 وَمَرَاكِزُ الْعُلُومِ وَالْبُحُوثِ
 مَهْجُورَةٌ كُلًّا يَلَا حَيَاءٌ
 وَقَتَلْتُ بِذَاكَ رُوحَ الْعِلْمِ ارْتَفَعَتْ
 جَهَالَةُ الْجَهْلَاءِ

وبعد الشكوى العامة على سلوك الحكومة
 الخبيث، شرع في تفصيل هذا السلوك قائلاً: إن
 الدولة، مع كثرة مواردها الطبيعية، قد تحولت إلى
 أرض جدداء تأكل الجراد نباتها، إذ أقفلت المدارس
 الحكومية عن الأطفال، وغلقت الأسواق والمراكز
 التجارية والمصانع، وبذلك قطعت الموارد المالية
 عن المواطنين وصيرتهم فقراء، وبنوك الدولة في
 تزايد بدون تحقيق الهدف المرجو منها،
 والمستشفيات خالية من الأطباء الأكفاء والأدوية
 الفعالة، وفقدت المؤسسات التعليمية فعاليتها إذ
 انحط المستوى العلمي في الجامعات والمراكز
 العلمية والمعاهد والكليات إلى أدنى ما يتصور،
 فارتفعت كذلك نسبة الجهلاء والأميين في المجتمع.

الملحوظات الفنية في القصيدة

سلط الشاعر بؤرة انتباهه في هذه
 القصيدة على مثالب الحكومة وأظهر تصرفات

الحكام وسياستهم في صورتها السلبية، وقد عكس سياسة نيجيريا كما كانت، وكما كان يمارسها السياسيون ويحسّ بها المواطنون. والقصيدة قوية في أسلوبها وبنائها حيث التزمت الوحدة الموضوعية التزاما جيدا. والقارئ للقصيدة يشهد لقائلها بالصدق الفني، والصدق الواقعي، وصدق الشعور، وقوة العاطفة، وعمق التعبير، مما يدل على أن الشاعر متفنن ذكي مفلق، شعره رقيق الأسلوب، وسهل الألفاظ، ودقيق المعاني. وسيحاول الباحث في السطور التالية تناول بعض الجوانب الفنية في القصيدة.

الوجدان والعاطفة

الوجدان مصطلح شاع في الدراسات الأدبية الحديثة بمعنى ما يجده الشاعر في نفسه من العواطف الخاصة بها، الناشئة من انعكاس الأشياء أو الأحداث أو الأفكار على صفحاتها.⁸ وقد عقد النقاد المحدثين كثيرا على الوجدان، حتى عدّه الديوانيون لبّ الشعر على نحو ما نجد في عبد الرحمن شكري:

قول:

ألا يا طائر الفردوس إن

الشعر وجدان⁹

والوجدان عنده هو أن يتسم الشعر بالأحاسيس الصادقة التي يخرجها الشاعر كما أحسها في

نفسه، بحيث تكون قصيدته صورة نفسه ومرآة
عاطفته.¹⁰ وواضح جلي أن وجدان الشاعر
وعاطفته في هذه القصيدة تعبير عن الغضب
العام على ما تقوم به الحكومة من التصرفات
الضارة التي غرست اليأس في الشعب وخيبت
آمالهم. وهذه العاطفة صادقة ليست
مصطنعة، إذ كل ما في القصيدة من الشكاوا
انعكاس مباشر لما كان يشاهده الشاعر يوميا
ويعاني منه شخصا، فهو محاضر جامعي ذاق مع
إخوانه المحاضرين من كأس العذاب، وواحد من
المواطنين النيجيريين الذين كان تلسعهم الظروف
الاقتصادية القاتلة. ولذا نجده يصور هذه الحكومة
بأبشع صورة وأعنفها في مثل قوله:

لا مرحبا بهذه الحكومة حكومة تجود
بالأساء

حكومة تعدنا صلاحا وتسوسنا سياسة
شعواء
تسوقنا فكأنا بهائم أو أن في أعيننا
غطاء

نطلب منها سمكا وخبزا ووهبتنا
حياة رقطاع
قد لسعتنا لسعة شديدة كلسعة العقارب
السوداء

وبناء على السابق يمكن وصف الشاعر بأنه
صادق فنيا، فالصدق الفني أو الصدق الأدبي

-حسب قول النقاد- هو إخلاص الأديب لعاطفته وتجربته الانفعالية أو موافقة كلامه لعقيدته بمعنى أن يقول بلسانه حقيقة ما في قلبه. وزاد بعضهم أن وصف الشاعر بالصدق الفني حاصل إذا كانت عاطفته التي يدعيها قد أملت به هو حقاً.¹¹ وكل هذا -كما يبدو فيما سبق- متوفر في الأبيات قيد الدراسة.

التصوير الخيالي

الشعر ضرب من التصوير، وللخيال دور بارز في بناء الصورة الشعرية، وأصل لفظ الخيال في اللغة الظن وتصور الشيء أو تصويره زائد تصويراً على الواقع.¹² وهو في الأدب: القدرة التي يستطيع العقل بها أن يشكل صوراً للأشياء أو الأشخاص ويتصرف فيها بالتركيب والتحليل والزيادة والنقص عن طريق استحضار هذه الصور أو تأليفها تأليفاً جذاباً.¹³ ونجد الشاعر في هذه القصيدة قد لجأ إلى التصوير الخيالي الفني الخاضع للوجدان لنقل مشاعره وعواطفه، وذلك كتصويره عن طريق التشبيه والمجاز في بيان نوع القيادة التي تقود بها الحكومة الدولة في الأبيات الآتية:

يا قوم ما لهذه الحكـومة تقودنا
فكأنها عمياء

تسوقنا فكأننا بهائم أو أن في
أعيننا غطاء
قد لسعتنا لسعة شديدة كلسعة
العقارب السوداء
كأنها لا تستطيع مشيا فكأنها في
مشيها عرجاء
كأنها ليس لها بغير في الحقل بل لا
ناقة عمياء
حكومة تعامل الأحرار فكأنها
تعامل الإماء
ترشو وترشى كأن هذا موافق
لشريعة السماء
تقول شيئا ثم تفعل غيره فكأنها
لا تعرف الحياء
حكومة تغفو عن الحقيقة كأن مقلة
عينها رمدا

وقصد الشاعر وراء هذه التشبيهات بيان
أحوال سياسة الحكومة العسكرية السيئة، وإثارة
الكراهية في نفوس القراء. وسبب اختيار الشاعر
لأداة التشبيه "كأن" في معظم هذه التشبيهات أنها
الأقوى والأبلغ في الدلالة على إلحاق المشبه
بالمشبه به حيث "يخيل للقارئ أن المشبه هو عين
المشبه به"¹⁴ وقد وقع إختار الشاعر لها لإظهار
معنى قوي في نفسه (أي إظهار سلوك الحكومة
السيئ)، مما يدل على أن الشاعر خبير بأوجه

العربية وأسرار بلاغتها. ونجده في أبيات كثيرة من القصيدة يستعين بالمجاز بأنواعه كالاستعارة المكنية في قوله: "قد لسعنا لسعة شديدة" حيث شبه الحكومة التي تضر شعبها بالحية التي تضر من لسعته بجامع إنزال الضرر في كل، ثم حذف المشبه به (الحية) ورمز إليه بشيء من أوصافه وهو (لسعت). وفي قوله: (حكومة تجود بالأساء) مجازان، الأول: استعارة لفظ "تجود" "لتسبب"، والثاني مجاز عقلي في إسناد الجود إلى الحكومة بدلا من الحكام. وكذلك استخدم عددًا من الكناية الشاعر لنقل مشاعره، كما في قوله:

حكومة ليست تميز* بين البيضاء والسوداء
وهي كناية عن عدم الاهتمام إلى الصواب، وعدم معرفة ما ينفع البلاد وما يضرها. ونجد الكناية نفسها في قوله:

نطلب منها سمكا وخبرًا** ووهبتنا حية رقطاء
فالسمك والخبز كناية عن العيش الرغيد، والحية الرقطاء كناية عن شظف العيش، والحياة الضنكى. وكذلك قوله:

تذهب لا إلى اليمين لا إلى الـ** شمال
لا الأمام لا الوراء

فإنه كناية عن التجمد وعدم التقدم بالبلاد. وقوله:
فأرضه الخصيبة المعسولة** قد صيرتها
جدة جرداء

فهو كناية عن تحويل نعمة البلاد إلى النعمة.

الجانب النفسي في القصيدة

لا يستقيم عمل النقد الأدبي إذا جهل الناقد الجانب النفسي للعمل، إذ الأدب في مصدره ووظيفته وثيق الصلة بالنفس من حيث المصدر، فإنه إذا كان الأدب على حد قول طه عَصْر: هو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية فإن العنصر النفسي أصيل بارز في كل خطوة من خطواته. فالتجربة الشعورية ناطقة بالفاظها من أصالة العنصر النفسي في مرحلة التأثير الذي يوحى به التعبير. فإذا تجاوزنا ذلك إلى صميم العمل الأدبي لمسنا العنصر النفسي بارزا في كل مراحلها، فالعمل الأدبي استجابة معينة لمؤثرات خاصة، وهو بهذا الوصف عمل صادر عن مجموعة القوى النفسية ونشاط ممثل للحياة النفسية¹⁵

فإن الأبيات التي بين أيدينا تثبت أنها صادرة عن مجموعة من القوى النفسية التي تعتبر من الدوافع النفسية الأساسية التي تدفع الشاعر إلى إنتاج هذه الأشعار، وتكلم الدوافع بالنسبة لهذا الشاعر هي الإحباط. والمقصود بالإحباط هو وجود عائق يحول دون إشباع حاجة من الحاجات، أو حل مشكلة من المشكلات، ويؤدي بالفرد إلى الشعور بالتوتر،

والضيق، والغضب، والقلق، وصرف الانتباه عن مسؤولياته الأخرى، ويؤثر في اتجاهاته وأدائه العقلية. والعوامل المسببة للإحباط نوعان: عوامل بيئية، وعوامل داخلية، وتشمل العوامل البيئية كل العوائق التي تعترض الفرد في بيئته الخارجية المادية.¹⁶ ومثال ذلك من كان مرتبطاً بموعد مهم كحضور امتحان مثلاً ولكن وجد أن سيارته بها عطل أو أن الطريق مسدود، فمثل هذا العائق البيئي الخارجي يحول دون وصول الفرد إلى الهدف. ويظل الفرد الذي لم يشبع حاجاته (المحبط) في حالة من التوتر، وعدم الراحة، ولا بد أن يقوم ببعض السلوكات التوافقية لتخفيف هذا الضغط، ومن السلوكات التوافقية (والتي تسمى أحياناً ميكانزمات التوافق) العدوان والتعويض والإبدال وغير ذلك.

فسلوك الشاعر في هذه الأبيات هو السلوك العدواني، فقد لجأ الشاعر إلى ميكانزمات التوافق للتوتر الذي سببه عدم إشباع الحاجات الاقتصادية الناجمة عن سوء الإدارة السياسية. ونجد أن الإحباط عامل أساسي وراء العبارات العدوانية الشديدة اللهجة التي امتلأت بها قصيدته، وذلك كما في قوله:

يا قوم ما لهذه الحكومة تقودنا
فكأنها عمياء

حكومة ليست تميز بين
البيضاء والسوداء
حكومة تحكم في البلاد كما تشاء لا كما
نشاء

حكومة تجود لا بالمال لا بالهدايا
بل ولا بالماء
لا مرحبا بهذه الحكومة حكومة
تجود بالبأساء
حكومة تعدنا صلاحا وتسوسنا
سياسة شعواء
تسوقنا فكأننا بهائم أو أن في
أعيننا غطاء

نطلب منها سمكا وخبزا ووهبتنا حية

رقطاء

فالإحباط الذي سببته حكومة ثاني أبتشا أي عدم
إشباع الحاجات الاقتصادية لدى الشاعر بصفته أحد
الأساتذة الجامعيين الذين قضوا ما يزيد على ستة
أشهر بدون رواتب جراء إضرابهم عن العمل،
وطرد معظمهم من مساكنهم الرسمية في حرم
الجامعة، إضافة إلى كونه واحداً من الشعب
اليوربوي الذين قام بينهم وبين الحكومة عدوان
كبير جراء إلغاء نتائج الانتخابات الرئاسية عام
1993 والتي كان زعيمهم مشهود أبيولا على
وشك الفوز فيها، كل ذلك أحدث في نفس الشاعر
التوتر والقلق والاضطراب الذي دفعه إلى

ميكانيزمات التوافق (السلوك العدواني نحو الحكومة، مصدر الإحباط) وذلك الذي نجده في إلقاء القصيدة بتلك العبارات المشار إليها.

موسيقى القصيدة

الموسيقى الشعرية هي إما موسيقى داخلية أو خارجية؛ فالموسيقى الداخلية عبارة عن الإيقاع في النص الأدبي الناتج عن اختيار الحروف وتآليف العبارات، وأما الموسيقى الخارجية فتتمثل في الوزن والقافية اللذين يختارهما الشاعر قصداً أو دون وعي.¹⁸ وتركيز النقاد في دراسة موسيقى الشعر منصب على النوع الثاني (الأخير) فيدرسون القصائد من حيث اختيار الشاعر للوزن والقافية لها.

نجد أن الشاعر في هذه الأبيات قد اختار بحر الرجز وهو البحر المناسب لهذا اللون من الغرض "الشكوى" أو إظهار عدم الرضا، مما ولدته عاطفة الكراهية. فالشاعر في مثل هذا الغرض لا يطول به النَّفْس، فهو إذن ليس في حاجة إلى الأبحر الطويلة التفاعيل، ولذلك لجأ إلى بحر قصرت تفاعيله، وسهل وزنه في السمع، ويقع في النفس موقعاً مكيناً. وجوازه كثيرة وهو أقرب الأبحر إلى النثر، ولذلك سموه "حمار الشعراء"،¹⁹ وأصل تفاعيله:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن ** مستفعلن
مستفعلن مستفعلن
وقد راعى الشاعر قوانين هذا البحر أحسن
مراعاة وأجاز ما أجازهُ العروضيون، ولتوضيح ذلك
ننظر في تفعيلات البيت الأول:
ما هذه الحكومة الصماء ** حكومة تحكم بالاهواء
مستفعلن متفعلن مفعولن ** متفعلن مفتعلن
مفعول
عروضه (الصماء) وقافيته (واء)، دخل "الخبث" في
الشطر الأول (الصدر) في قوله "حكومة" متفعلن،
ودخل القطع في عروضه "الصماء" مفعولن، وفي
الشطر الثاني (العجز) دخل الخبث في "حكومة"
ودخل الطي في "تحكم" وكذا القطع في "أهواء"
مفعولن. استخدم الشاعر الرجز التام كما هو
واضح في هذا البيت، وتفاعيله ست، غير أن
أعاريضه وأضربه غير صحيحة، فهي مقطوعة؛
تصير فيها مستفعلن إلى مستفعل وتحوّل إلى
مفعولن. وعلى وهذا نجد أن الشاعر قد راعى
القوانين العروضية ولم يخالفها إلا نادراً مثل الإتيان
بالضرب محذوفاً.

ما يؤخذ على الشاعر

إن العمل الأدبي مهما بلغت درجته من الجودة
والرقي والتنقيح لا يسلم من الهنات والهفوات،
فالكمال المطلق لله وحده. لقد لاحظ الباحث

بعض المآخذ على بعض أبيات القصيدة التي تم
عرضها، ومن ذلك تعميم كراهية الشعب للحكومة،
وذلك في مثل قوله:
يا عجا لهذه الحكومة ** حكومة يكرها
الجمعاء

فمن شدة كراهية الشاعر للحكومة صورها كأنها
مكروهة ومرفوضة لدى عامة الشعب النيجيري،
ناسيا أو متناسيا أن عددا كبيرا من المواطنين
خاصة في شمال البلاد يحبون الجنرال أبتشا
ويرضون بحكومته وسياستها. نعم، يمكن أن نقول
إن ذلك نوع من المبالغة المقبولة، لكنها مبالغة
يمكن أن تضلل من يريد أن يدرس تاريخ السياسة
النيجيرية من خلال القصيدة.

ومما يؤخذ عليه أيضا زيادة في الوزن في
عجز البيت الثالث: (تقودنا فكأنها عمياء) لاستقامة
البيت بحذف (فاء)؛ كما يلاحظ اضطراب في الوزن
في الأبيات: الرابع، والسادس عشر، والعشرين،
فقد خالف القوانين العروضية التي تفرض إتيان
ضرب القصيدة محذوفا. وكذلك وقع في الإقواء
في قوله:

ما هذه الحكومة الصماء ** حكومة
تحكم بالأهواء
يا عجا لهذه الحكومة ** حكومة
يكرها الجمعاء

الخاتمة

في هذه الجولة القصيرة مع مختارات من قصيدة الشكوى من الحكومة للشاعر الدكتور دواد أديكليكن شرحنا رؤيته في حكومة الجنرال ثاني أبتشا العسكرية وموقفه منها، وهي حكومة حكمت الدولة بيد حديدية وبطش شديد لمدة خمس سنين تكممت خلالها الأفواه، وقيدت حرية الشعب، وكانت هذه القصيدة قيد الدراسة إحدى الأصوات القليلة المرفوعة ضد تلك الحكومة المستبدة. أشار الباحث إلى أن اللهجة الشديدة التي تفعم بها القصيدة كانت نابعة من نفس تضررت بسياسة تلك الحكومة وعانت منها معاناة شديدة مما يدل على أن القصيدة تعبير صادق لعاطفة الشاعر ووجدانه، فهي إذن متصفة بالصدق بجميع أنواعه الفني والواقعي، والشعوري. وفي القصيدة عامة والأبيات المدروسة منها خاصة دليل على أن الشعر العربي النيجيري ليس مقصوراً على الجوانب الدينية أو الأغراض الشعرية التقليدية، إذ وجدنا الشاعر يتفنن في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والصحي وغيرها من الجوانب التي قد لا يخطر ببال الشاعر النيجيري التقليدي. وأخيراً ينصح الباحث كل من له موهبة شعرية أن لا يتقاعس عن استعمال موهبته في تنبيه المجتمع ودعوتهم إلى ما يجلب لمجتمعهم الخير والسداد، وعلى الشعراء في نيجيريا أن يشتغلوا

بالقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأن
يدخلوا فيها بأقلامهم ليوجهوا الحكومة والشعب
بإرشادات ونصائح وتوجيهات نافعة، ليكون بلدنا
نيجيريا خير مقام للجميع.

الهوامش

1. Felix M.O Ogbodo, *Simplified Approach to Government*, Ilorin, 2nd Edition, (1999) و p184
2. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، *مفردات غريب القرآن*، (تحقيق محمد سيد كيلاني) لبنان، دار المعرفة ، ج 1 ص 278.
3. ياسر خالد بركات الوائلي، "الفساد الإداري: مفهومه ومظاهره وأسبابه *مع إشارة إلى تجربة العراق في الفساد*"، مجلة النبأ، العراق، العدد 80، 2006 ص 4
4. محمد عادل التريكي، *من أجل مكافحة الفساد الإداري والمحافظة على المال العام*، حصل الباحث على المقالة عبر الإنترنت يوم 30/8/2017م.
5. ساهر عبد الكاظم مهدي، *الفساد الإداري أسبابه وأثاره وأهم أساليب المعالجة*، حصل الباحث على المقالة عبر الإنترنت، يوم الخميس 9 من نوفمبر 2017م.
6. Titus T. M. "How Ibrahim Babangida Promoted Corruption and Stagnated Nigeria's economic Growth and Dev., *The Paradigm Newsletter*. April 24 2015, monitored on 18th April 2017.
7. عبد الباري، أدبيني، *الظواهر الفنية في الشعر السياسي لداؤد أدبكيلىكن مجلة Religions' Educator*, Ilesa, National Association for the Study of Religions and Education (NASRED) , vol. 9 No 2 ص 45-29

8. عبد الحميد، حسن، *الأصول الفنية للأدب*، ص15، منشول من كمال لاشين، (الدكتور)، *دراسات في النقد الأدبي الحديث*، القاهرة، جامعة الأزهر، 1988، ص53.
9. كمال لاشين، (الدكتور)، *المرجع نفسه* ص52.
10. كمال لاشين، (الدكتور)، *المرجع نفسه*، ص54-55.
11. يونس إبراهيم أبو مصطفى (الدكتور)، *موقف النقد من قضية الالتزال الخلقي في الشعر*، مقالة نشرت في الإنترنت 3/6/2012 وزارت يوم 20 من مارس 2017.
12. محمد، بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، 11، ص226.
13. د. مجد وهبة *معجم مصطلح الأدب*، ص164، 239.
14. على محمد حسن، *أسرار البيان للصف الرابع الثانوي*، القاهرة، الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية، 1980م، ص25.
15. محمد، طه عصر، *في النقد النفسي للشعر: تاريخ وتقويم*، القاهرة، كويك حمادة، 1989، ص90.
16. مصطفى، خليل الشرقاوي، *في علم الصحة النفسية*، القاهرة، دار مصرم للنشر والتوزيع، 1988م، ص121-126.

17. محمد، التونجي (الدكتور)، *المعجم المفصل في الأدب، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، 1999م، ج1 ط1*
18. ص799، وما بعدها.
19. السيد أحمد الهاشمي، *ميزان الذهب في صناعة شعر/العربي، بيروت- لبنان، (غير مؤرخ)، دار الفكر، ص80.*